التداولية والتحليل النقدي للخطاب

مثال عن تحليلٍ في ملتقى الاختصاصات

ترجمة : منية عبيدي

جامعة منوبة، تونس

راجع الترجمة : محمد خطابي

(القسم الثاني)

4. مفاهيم لسانية/ تداولية

49- علينا الاستعانة، في الحالة التي ندرسها بعدد معين من المفاهيم والإجراءات ذات الأهمية الخاصة في وصف معاداة السامية في النمسا ما بعد الحرب.

50- من الممكن الإيعازُ عبر *الإيحاء* (انظر أيضاً ووداك وآخرين 1990) بتداعياتٍ، والتعبيرُ عن تلميحات سلبية دون أن تترتب عنها مسؤولية. وفي نهاية المطاف لا يتجاوز ما نفعله الإلماعَ إلى التداعيات، وعلى المتقبلين [المتلقين] أن يجعلوها صريحةً حين تقبّلها [تلقيها](ووداك و دو سيليا، 1988: 10)(14). تتوقف الإيحاءات على *المعارف المشتركة* (انظر *عوالم الاعتقاد* (*الافتراضات الخلفية*) عند سورل 1976؛ *التجلي المتبادل* عند سبيربر وويلسون 1986؛ *معارف البداهة* عند فان ديك 2005، الخ.)؛ فيعتمد الشخص الموحي إلى بشيء على استعدادٍ عام لدى الجمهور ليُرجّع الصدى، وترجمةُ ذلك ميلُ المستمع إلى توسيع الدلالة الحرفية تبعاً للمعارف المشتركة.

51- وهكذا، قد لا تخلو الإيحاءات، في حقل السياسة، من نيةٍ تتمثل في نقد المعارضين السياسيين فيتحقق الهدف منها، دون قبول تحمّل مسؤولية ما قيل ضمنياً: لا يتجاوز ما أُعلن دعوةً إلى إقامة صلات خاصة(15). ويخلق ما لم يُصرّح به، في مثال الإيحاءات، ضرباً من السرّ أو الحميمية، وتوحي هذه الألفة بشيء من قبيل: "نعلم جميعاً ما يعنيه هذا". على أن عالمَ التجارب يوجد في "مجموعة منظمة من المعارف الجماعية" يمْكننا تحليلها معتمدين الدراسات والنظريات

التاريخية والنفسية، الخ.، لمعاداة السامية. وترتكز الإيحاءات في غالب الأحيان على *طوبويات* عنصرية/ لاسامية (*المؤامرة العالمية*) وعناصر لغوية ممعيَرة لها دلالات محدّدَة بوضوح ((مثلاً، الساحل الشرقي)؛ ميتّن 1992، ووداك 2004أ من أجل الاطلاع على مناقشة ذلك)، أو تشير إلى صور نمطية معادية للسامية راسخة جماعياً (من قبيل "اليهود مضاربون ونصابون"، ووداك ودو سيلينا 1998: 15).

52- على الرغم من أن الإيحاءات تشبه ضروباً أخرى من المكونات المضمَرة للدلالة، فمن اللازم تفصيل القول والتعمق فيه وتمييز مختلف أصناف الإيحاءات بحصر المعنى. يقدم لنا جانوشيك تعريفاً مفيداً بخصوص الإيحاءات المدرَجة في الخطاب السياسي:

[...] على خلاف الشعارات، تتطلب الإيحاءات تفكيراً منطقياً حيوياً ومتقبلِين[متلقين] ذوي فطنة. ليس كل الناس بقادرين على فهم الإيحاءات، وعلى الذين يفهمونها أن يفعلوا بها شيئاً: عليهم أن يجدوا لها دلالة. وهكذا بإمكان صاحب الإيحاء أن يتنصل من مسؤولية الدلالة المنبثقة: يمكنه أن يتبرأ منها. وبعبارة أخرى يمكن أن تكون الإيحاءات شديدة الإيجاز- لكن لا يمكن بتاتاً أن تكون أفعالاً تواصلية ذات اتجاه وحيد. ويمكن أن تُفهم الإيحاءات بطريقة شديدة الإحراج- لكن بطريقة غامضة تجعلها دائماً مثار تَناقضٍ، وتستعصي على أن تصنَّف ببساطة في أحياز خاصة. حيثما نحت الشعارات الانتخابية نحو التسبُّب في انهيارِ خطابٍ متشظٍّ زوّدته الإيحاءات بقوة دافعة إلى الأمام. ففي ظروف التواصل السياسي المتشظي تستند وسائل لغويةٌ على واقع كون المواطنين، في الظروف نفسها، يتصرفون عامة بذكاء وليسوا فقط دمى متحركة يتحكم في تحريكها من يبرعون في ذلك. (يانوشيك 1994: 115).

53- في الحالة التي نحن بصدد دراستها مثلاً، بإمكاننا ملاحظة أن د. يورغ هايدر وهو يخاطب د. أرييل موزيكانت بطريقة لا تخلو من الاتهام، لا ينفك يستخدم الإيحاءات. وبهذا النوع من الإجراء الخطابي ينشئ هايدر (وغيره) استلزامات ويلقون إلى الجمهور باقتضاءات مشتركة بين عدد من الناس "معارفَ بديهية" أو "حقائقَ مشتركة". بيد أن هذه ليست استراتيجية خطابية جديدة في خطاب الأحكام المسبقة.

54– يعتبر مفهوم الاقتضاء محورياً في اللسانيات. ولقد دشّن جون أوستين (1961) وجون سيرل (1969، 1976) تحليل الاقتضاءات في إطار نظرية أعمال اللغة [أفعال الكلام]. وهو تحليل يجعل تفسيرَ الافتراضات الضمنية وعلاقات التناص التي تدعّم إنتاج النص ممكناً (شيفرين 1994).

55– بخصوص الملفوظات المعادية للسامية، منذ 1945 على الأقل، ما من إعرابٍ عن معاداة السامية وقع التصريح به على نحو مباشر وكامل. وإنما يتعلق الأمر بالأحرى بخليط من المذاهب الإيديولوجية استدعتها "آثار ومؤشرات" لغوية، من أجل وصلها بمجموعة محدَّدة من المعتقدات. ومن ثم تنشأُ هذه "فضاءَ خطابٍ" من خلال وسائل بلاغية، وحجاجية، واستعارية، وتداولية، دون أن يؤخذ بعين الاعتبار إلى أين تؤدي أصول "فضاء الخطاب" هذا (16).

56– رُبطت عددٌ من الظواهر اللغوية بالاقتضاءات. وسأحذو حذْو يول (1996: الفصل 4) في الدراسة التي أنجزها، وهي تركز على أربعة أنواع من الاقتضاءات (انظر الجدول 1).

الجدول 1. أنواع الاقتضاءات

نوع الاقتضاء	مثال	الاقتضاء
وجودي	"ال س"	س موجود
وقائعي	"أنا نادم على فعل ذلك"	فعلتُه
غير وقائعي	"زعَم أنه مدرّس"	ليس مدرّساً
معجمي	"أفلحتْ في الهروب"	حاولتِ الهروب
بنيوي	"من جاء؟"	جاء أحدهم
ضد وقائعي	"لو لم أكن مريضاً..."	أنا مريض

57– من المفيد التنبيه (بالنسبة لتحليلات أخرى، انظر أسفله)

إلى أن للاقتضاءات خصائص ملحوظة فيما يتصل باستثارة انخراط الجمهور في الرسالة المعبَّر عنها. يُقبَل المحتوى القضويّ – في ظروف عادية، ما لم يكن هناك موقف تأويلي متيقّظ من قبل

المستمع- دون عناية نقدية (بينما يكون المحتوى المصرّح به والاستلزامات الجليّة عادةً عُرضةً لتقويم من درجة معينة). مثلا، لغرض تسهيل الانخراط يمكن أن تقول أمٌ تعْلم أن ابنها لا تسرّه زيارة الخالة ماري: "أيَّ لعبةٍ تود أخذها معك إلى بيت الخالة ماري"؟ حيث يكون واقعُ ذهابهما إلى الخالة ماري مقتضىً بدل القول فقط: "نحن ذاهبان إلى الخالة ماري".

58- تعتَبَر الاقتضاءات الوجودية وسيلة ناجعة لصنع الانخراط. وسوف أعود إليها بعد حين.

59- أخيراً، أودّ الاهتمام بمفهوم "اللعب بالكلمات". ففي ملاحظته الشهيرة طوال حملته الانتخابية (انظر المثال (3))، لعب هايدر بكلمة "أرييل"، الاسم الشخصي لموزيكانت. ولقد تمَّ فيما بعد تنسيب ذلك، وقُدّم باعتباره "دعابة"، "سخرية" وقس على هذا؛ بمعنى "لمَ لا نتسلى قليلاً خلال الكارنافال؟" (17).

60- يدلُّ اللعب بالكلمات (اللعب على الكلمات) على استعمال لَعِبي للكلمات، ويتوقف تأثيره الهزلي بخاصة على التباس الكلمات المستعمَلة أو نطق متماثل أو متشابه لكلمتين متصلتين لهما دلالتان مختلفتان. وكما بيّن ذلك بيرينغ (2002)، كان غوبلس يستعمل باستمرار اللعب بالكلمات في سنوات الثلاثين للنيل من محامين يهود ذوي شهرة في برلين ما قبل الحرب واتهامِهم. رفع بعض هؤلاء دعاوى قضائية على غوبلس فأنصفتهم العدالة؛ ومع ذلك، ظلت "الأسماء" الجديدة التي منحها لهم لصيقة بهم (18).

61- يجب إذن أن يُنظر إلى اللعب بالأسماء وتشويهِها إنكاراً وتهديداً لهوية شخص بعينه. وكما هو موضَّح أسفله، يمكن أن يتحقق ذلك بطرق لغوية متعددة: قد يتعلق الأمر بتحريف النطق أو تعديله صوتياً أو صواتياً؛ وقد يتعلق بإنشاء إيحاءات وتداعيات دلالية بوساطة مفاهيم أخرى؛ وفي بعض الأحيان، يمكن أن تخلَق استعارات تصورية متوسِّلَةً مثلَ هذا اللعب بالكلمات. في مثالنا وخلال الحملة الانتخابية سنة 2001، استعمل هايدر جميع هذه الوسائل في حق مختلِف السياسيين، والأهم من ذلك لدراستنا، أنه استعملها في حق رئيس الجالية اليهودية النمساوية. ولمختلف التحققات وظائف تداولية متمايزة، كما سنبين ذلك أسفله.

5. انتخابات فيينا سنة 2001

62– في سنة 2001، وخلال الحملة الانتخابية لمدينة فيينا عاصمة النمسا وبها أغلبية اجتماعية ديموقراطية، بدأ FP (**حزب الحرية**، وهو حزب يميني متطرف نظير حزب "لوبان" في فرنسا)، بقيادة الدكتور يورغ هايدر، حملةً انتخابية شجعت الأحكام المسبقة والاعتقادات المعادية للسامية (انظر مورهرينك، 2001؛ روزانبارك، 2001.، بيلينكا ووواداك، 2002.، المثالان (1) و(2)). واستُعملت الصور النمطية التقليدية أسلحةً سياسية. وبالتحديد اتسمت هذه الحملة الانتخابية بهجمات عنيفة على رئيس الجالية اليهودية، الدكتور آريال موزيكانت.

63– في يوم 28 فيفري 2001، الموافق لأربعاء الرماد، ألقى الدكتور يورغ هايدر خطاباً في "رياد إم انكرايس" Ried im Innkreis في النمسا العليا، أهان فيه الدكتور آريال موزيكانت، وكذلك عدداً من السياسيين المعارضين (انظر المثال (3)). وأثارت الملاحظات التي أُذيعت مرات عديدة في التلفزة –وفي نهاية المطاف على مستوى العالم كله– سجالاً جديداً وعاصفاً جداً حول معاداة السامية في النمسا.

64– سأهتم في هذا المقال بالملفوظات الثلاثة المذكورة أعلاه، مع تلخيص السياق المباشر لخطاب هايدر. ويمكن الرجوع إلى ووداك (2002)، ووواداك وراسيكل، (2002)، للوقوف على دراسة للحملة الانتخابية في فيينا ترتكز على عدد كبير من الاستشهادات النموذجية التي توضح خطاب معاداة السامية من ناحية، والنقاشَ غير المتكافئ حول حرية الرأي، و"النقد" الناجم عنه من ناحية ثانية.

5–1. السياق المقالي المباشر للملفوظ المدان يوم 28 فيفري 2001 في ريد [Ried]: "السلسلة النصية للشطط"

65– تجد أسفله قائمة المواضيع الكلية التي تحدث عنها هايدر في خطاب "رياد":

66– موضوع أزمة جنون البقر وموضوع السياسة الفلاحية للاتحاد الأوروبي يبيّنان الموقف المتشكك لحزب الحرية في الاتحاد الأوروبي. وفي هذا السياق وصفَ "فرانز فيشلار" (كان يومذاك مفوضَ النمسا في الاتحاد الأوروبي) بـ"روبزال" *Rübezahl* (19) بأنه سياسي يعاني من نوبة غضب شديدة بخصوص السياسة الفلاحية الأروبية.

67- موضوع تبني عملة اليورو واستقرارها – وهو موضوع يكرر الموقف المتشكك في الاتحاد الأروبي، وذلك بالربط بين اليورو والبطالة وارتفاع تكلفة المعيشة.

68-موضوع الرواتب المرتفعة المزعومة لرجال السياسة في الحزب الديمقراطي الاجتماعي، بالإشارة إليهم بالأصبع وذلك للتلميح إلى الفساد والامتيازات التي ينعم بها السياسيون. في هذا السياق أحال، لما سنحت الفرصة، على قائد الحزب الديمقراطي الاجتماعي، ألفراد غوسانباور Gusenbauer، باسم Gruselbauer (= مثير المشاكل) (20).

69- موضوع "العقوبات التي فرضها الأعضاء الأربعة عشر في الاتحاد الأوروبي على النمسا" التي نجم عنها انصرافٌ نحو اليمين في سنة 2000، وهو ما مكّن حكومة اليمين من هزم الائتلاف الواسع المتكون من الوسط واليسار. وتَبيّن أن العقوبات التي فرضها الأعضاء الأربعة عشر في الاتحاد الاروبي (وكان الاتحاد الأروبي يتألف من خمسة عشر عضواً يومذاك) مباشرة بعد تنصيب الحكومة الجديدة غيرُ مجدية: لقد أثارت خطاباً شوفينياً مفاده "النمسا ضد الاتحاد الأروبي" حصَدَ كل الأصوات المعارضة للاتحاد وسمح بوصف المعارضين لهذا الخطاب "بالخونة" أو "بعديمي الحس الوطني" (انظر موهرينغ، 2001).

70- موضوع الهجوم على د. أرييل موزيكانت من قبل د. يورغ هايدر خلال مناقشة "عقوبات الاتحاد الأوروبي". أثبت الخطيب أن أصولها توجد في النمسا مفترضاً من ثم أن موزيكانت طرف في "مؤامرة" نجمت عنها العقوبات أو شجعتها على الأقل. ويَذكر هايدر بعد ذلك بصراحة أن "الاشتراكيين النمساويين" و"اليسار" طلبوا من "أصدقائهم في الخارج" إنزال هذه العقوبات بالنمسا، وأن الدكتور آريال موزيكانت لعب دوراً في ذلك.

71- لو قارنّا بين الكلمات التي وقع التلاعب بها، أسماء "فيشار"، و"غوسانباور" و" موزيكانت"، لانتبهنا إلى فروق تداولية مهمة. فبخصوص الاسمين الأوّلَين استُعملت السخرية، وبفضل تغييرات طفيفة تخللت الأسماء تمّ الإيحاء أو التلميح بعقد مقارنات، دون أن يكون في ذلك بحد ذاته ما يهين الشخص إهانة خطيرة. في حالة موزيكانت، يلمّح اللعب بالكلمات إلى خاصيات سلبية تبدو وكأنها ملازمة "لليهود".

72- ينتقل الدكتور هايدر حاكمُ كارينثي بعد الهجوم اللفظي الذي يتهم فيه الدكتور آريال موزيكانت بأنه يهودي يعادي النمسا وبأن لديه كثيراً من "الغسيل القذر" (أي بكونه مجرماً)، في بقية خطابه إلى سلسلة من الملاحظات المهينة لخصومه السياسيين النمساويين، والفرنسيين أو الألمان. وهكذا فإن الشتائم الموجهة إلى الدكتور آريال موزيكانت في الخطاب الذي ألقاه الدكتور يورغ هايدر في "رياد" تمثل سلسلة من االإشارات الفظّة، بعضها قيل قبل ذلك أو أعيد قوله بعد ذلك، وإذا فحصنا هذه السلسلة من الشتائم، فإننا نفاجأ بأن الدكتور آريال موزيكانت هو الوحيد الذي ليس رجل سياسة (بالمعنى الضيق لمحترف السياسة) من بين الذين اختارهم هايدر مواضيع لهجوماته اللفظية. وهكذا فإن الدكتور يورغ هايدر يهاجم معارضين سياسيين داخل النمسا وخارجها، ويشتم الدكتور آريال موزيكانت شخصياً باعتبار منصبه، أي رئيس الجالية اليهودية النمساوية.

2.5. التحليل اللساني التداولي المفصل

73 — شُرِع في الربط بين التعويضات/جبر ضرر ضحايا الحرب والناجين من المحرقة، وتجريم موزيكانت خلال تجمّع عمومي بمناسبة السنة الجديدة، وذلك في 22 جانفي 2001 (مثال (1) ومثال (2)). وفي أثناء هذا التجمع قيل إن موزيكانت نفسه تراكمت عليه الديون وأن جبر الضرر سيخدم مصالحه بالدرجة الأولى (يمكّنه من تسديد ديونه).

74- وعند هذه النقطة يمكننا أن نهتم بالتحليل التداولي البحت؛ وذلك لأن هذه الملفوظات الأولى تنطوي على كثير من *الاقتضاءات* الوجودية. وتُستغل خصائص المحتوى القضوي (انظر أعلاه) على نطاق واسع في مثالنا. أدرِجُ أسفله قائمةً ببعض الاقتضاءت الوجودية المهمة الموظّفَة في ملفوظات هايدر.

75- أولاً، من اقتضاءات الملفوظات أن موزيكانت يستخدم المناورات الإجرامية فعلاً لأنه، بحسب ما يبدو، يستغل مصالح الناجين من المحرقة لفائدته ولمصلحة أعماله. وفي وقت لاحق، وبطريقة موازية، تستدعي هذه الاقتضاءت سلسلة من الإلماعات والتداعيات المعادية للسامية: "اليهود أغنياء، هم كلهم رجال أعمال، الخ". وفي الوقت نفسه يُجَرَّدُ موضوع جبر الضرر بشكل عام من مصداقيته بلاغياً باعتباره "مشكلاً" غير ذي أهمية (تورية). هذا هو الموضوع الكلي الذي

وقع تناوله في بداية الحملة الانتخابية، وذلك بهجوم على "الساحل الشرقي"(كناية، انظر أسفله) والتأثير الواضح "للساحل الشرقي" (هذا الطوبوس له علاقة برئيس بلدية فيانا، الدكتور ميكائيل هاوبل Dr. Michael Haupl، وبالحزب الاشتراكي الديموقراطي، وكذلك بالمفاوضات بشأن جبر الضرر). يعد مثل هذا الحجاج مثالاً جيداً عن استلزامٍ مرتبطٍ مباشرةً بشبكة الاقتضاءات. ومفاد الاستلزام المخصوص المرتبط بالإلماعات أنّ اليهود يعامَلون معاملة أحسن من الألمان السوديت* من ناحية، وأن هذا ظلم من ناحية أخرى.

76- ثم إن استعمال الإلماع "الساحل الشرقي" يعود، على الأقل، إلى أبعد من "قضية فالدهايم" (1986) حيث تم التلميح إلى "اللوبي اليهودي في نيويورك" عن طريق المجاز (ووداك وآخرون، 1990؛ ووداك، 2004أ). وتفيد الدلالة الكامنة أن الحزب الاشتراكي تابعٌ لهؤلاء "اليهود الأقوياء"، وبالتالي فإن الصورة النمطية التقليدية "للمؤامرة العالمية" باعتبارها طوبوسا *مقتضاةٌ*. زيادة على ذلك، ذُكِرت في هذا الخطاب مسألة جبر الضرر وإبادة اليهود صراحةً بموازاة مسألة الألمان السوديت الذين طُردوا سنة 1945 (الاستراتيجية الخطابية للمساواة؛ *الطوبوس*: "كلنا ضحايا") (21).

77- استمر تجريم موزيكانت في شكل تلميح ولعب بالكلمات ("غسيل قذر") ولكن الأمر ظل رغم ذلك غير دقيق، إلى أن وضحته العبارات اللاحقة (انظر المثال (3)). اللعب باسم موزيكانت ("أريال") -وهو كذلك اسمُ مادة تستَعمَل في تنظيف الملابس- كان مثار ضحك طيلة الخطاب الذي تمّ تصويره، وهذا ما جعله في متناول التحليل متعدد الصيغ وكذا تحليل البنية النبرية.

78- ويصنَّف الغموضُ هنا إلى صنفين: من جهة وقع تقديم موزيكانت (واليهود) على أنه مجرم (أنهم مجرمون)؛ ومن جهة أخرى وقع التلميح إلى معاداة السامية "اليهود القذرين" الصورة النمطية القديمة. يمكن أن تُبيَّن مقصدية هذا الملفوظ من خلال رد الفعل التلقائي للجمهور، تماماً مثل إطار الأفكار المسبقة (prejudicial frame) المشترك بين الجمهور. والملفوظ التالي لهايدر يبين بوضوح كبير أنه يعرف بالضبط ما يفعله: هو يريد إثارة موزيكانت؛ وقد نجح. ومن خلال هذا اللعب الجارح بالكلمات الذي كانت وظيفته أن يكون تحدياً غير مباشر أو دعوة للجدال (المعركة)، سعى هايدر إلى تفاعلٍ مع موزيكانت، فاستجاب هذا في اليوم التالي برفع دعوى قضائية على هايدر. ومن

زاوية تاريخية يلمّح مثل هذا اللعب بألقاب يهودية إلى الفترة النازية عندما كان غوبالز يستعمل هذه الوسيلة ليشتُم محامين مرموقين في برلين سنوات الثلاثين (انظر أعلاه).

79- وهكذا فإن هذا النمط الحجاجي الأول يمكن أن يُحلل بطريقة كافية باستعمال المفاهيم التداولية، وذلك من خلال الكشف عن الاقتضاءات، واللعب بالكلمات، والاستلزامات والتلميحات (التي يأخذ كثير منها شكل مجاز بلاغي). وفي هذا المثال الملموس وُظف النمط الحجاجي لتقديم الدكتور أريال موزيكانت مجرماً، وذلك لتركيز الاهتمام بوضوح على دوره في المفاوضات الخاصة بجبر الضرر. غير أن ما يبدو في الآخر مهماً أيضاً عند هايدر هو التقليل من قيمة مطالب جبر ضرر اليهود ضحايا المحرقة *في ذاتها* وجعل المحرقة معادِلة لطرد الألمان السوديت بعد سنة 1945.

80- وتهم الاستراتيجيةُ الخطابية الكليةُ الثانيةُ تصنيفَ المواطنين النمساويين، أي الإنشاء الخطابي للفئات الاجتماعية من خلال أدوات تصنيفِ الانتماءات (أدوات تصنيف الانتماء(22): الذين لهم "قلبٌ قُدّ من فيينا حقيقةً" (نحن)، والذين هُم عُرضةٌ لتأثير "الساحل الشرقي" (هذا يعني اللوبيات اليهودية النيويوركية التي يظهر أنها ذات نفوذ، (هُم)).

81- في مقابلة أجرتها أسبوعية *بروفيل* (أسبوعية تقدمية يسارية)، طبعة 02 أبريل 2001، مع بيتر سيشروفسكي –كاتب عام الحزب اليميني النمساوي حينذاك- أضفى سيشروفسكي هذا التأويلَ على التلميح، ومن ثم فنّد تبرير هايدر المؤرّخ بسادس عشر مارس الذي ورد فيه أن عبارة "الساحل الشرقي" ليست سوى "وصف جغرافي محض"، مقيماً تعارضاً بين الدلالة الحرفية من جهة، والدلالة التلميحية والمجاز المرسل من جهة أخرى.

82- يهم هذا التصنيف النقاش الانتخابي في فيانا: قُدِّم "ستانلاي غرينبارغ" مستشار رئيس بلدية فيينا بأوصاف منها أنه يهودي يعمل حالياً لفائدة الحزب الاجتماعي الديموقراطي النمساوي "*خبيراً في العلاقات العامة*" (*spindoctor*) (مستشاراً في التواصل). وإطلاق هذه الصفة الفريدة على شخص من عياره بأنه "يهودي" تخدم حصرياً إثارة مواقف معادية للسامية، بما أن هذه الصفة لا أهمية لها في عمل غرينبارغ. وبذلك وقع وضع اليهود جنباً إلى جنب مع النمساويين "الحقيقيين" وفي مواجهتهم. على أن *طوبوس النمساوي الحقيقي* ليس جديداً؛ فلقد وقع استعماله في

السبعينات عندما تزعّمَ "برونو كرايسكي" – وهو اشتراكي ديموقراطي من أصل يهودي سيصبح بعد ذلك مستشاراً للنمسا– حملةً ضد حزب الشعب VP. إن استعمال الصورة النمطية "للنمساويين الحقيقين" عاودت الظهور في وقت لاحق في الحملة الانتخابية القومية لسنة 1999 (وفيها قدم هايدر نفسه على أنه نمساوي "حقيقي")، ولمّح إلى الاعتقاد الذي يقول يجب أن لا يوضع اليهود أو النمساويون من أصل إثني آخر "في المنزلة نفسها" مع النمساويين "الحقيقيين"، حتى وإن كانوا يحملون جميعاً الجنسيةَ النمساوية. وعلى هذا النحو يتم إنكار نمساويةِ (أو مواطَنَة) اليهود النمساويين ضمنياً. هناك طبعاً العديد من أمثلة الأساليب التداولية والبلاغية/النحوية في كامل السلسلة النصية، لكنني لن أُعنى بها لضيق المجال.

6. ملاحظات ختامية

83– يبرهن التحليل النصي والتداولي الدقيق، المدرَج في التحليل السياقي للخطابات والسلاسل الخطابية، إمكانيات فعالية هذه الاستراتيجيات على صعيدٍ عرفاني ووجداني وكيفياتها، بالنظر إلى مختلف مستويات الافتراضات السياقية، والسياقية المقالية، والأساليب التداولية الدقيقة [الغامضة، اللطيفة..] المستعملة(23). في هذه الحالة الخاصة، يبرهن هذا على مدى استعمال يورغ هايدر الصورَ النمطية ضد اليهود منذ التجمع الذي نظمه FP بمناسبة السنة الجديدة 2001. ويبدو الطابع الخدّاع للصلة بين حملة انتخابات فيينا والمفاوضات حول جبر الأضرار المادية جلياً بما فيه الكفاية.

84– أما بخصوص مناقشتنا النظرية فما يعد حاسماً هو أن تحليل خطابات من هذا القبيل في حاجة ماسةٍ إلى تحديد شديد الدقة لمختلف طبقات السياقات والإسهامات المنهجية والنظرية للعلوم المجاورة.

85– أضف إلى هذا أن العلاقة المعقدة والمتشابكة بين الوسائل النحوية، والأساليب التداولية وتحليل الخطاب تغدو جليَّةً. ولقد اقترح باحثون آخرون هذه العلاقة: سبق لهيكو هاوسندورف (2000) أن بيّن في كتابه المهم Zugeh rigkeit durch Sprache. Eine linguistische Studie am Beispiel der deutschen Wiederinigungأن الصلات المهمة بين النحو والتداولية قائمة، وهو ما برهن عليه باستخدام تحليل المحادثة وآليات تصنيف الانتماء في دراسته المناقشات التلفزيونية حول الصراع الكامن بين قدماء ألمانيا الشرقية وقدماء ألمانيا الغربية، فور إعادة توحيد ألمانيا. وفي مقال آخر

لروث ووداك وريك ييديما (2005)، أوضحنا العلاقة بين النحو (بمعناه عند هاليداي) وتحليلٍ متضافر الاختصاصات حين حلّلنا استجواباً تلفزيونياً –في التلفزيون النمساوي– لهايدر من قِبل هوكنر مقدِّمِ نشرة الأخبار المسائية. في هذا الاستجواب أفلح هايدر أيضاً في مراوغة الأسئلة الصريحة عن برنامج معاداة الأجانب لدى FP باستعمال الأساليب التداولية المضمرة، والبراهين النمطية الخداعة، وكذا *الطوبويات*.

86– اقترحت تيارات تداولية أخرى لمحات مفيدة عما يفعله المستمع حين ينشئ سياقاً خاصاً وهو يعالج ملفوظاً، منطلقاً من "سياق" بمعناه الواسع مقلصاً إياه حتى الحصول على مجموعة افتراضات مفيدة، بحسب ما يَزعم. أظن أن مقاربة من هذا القبيل تُعتبَر نقطة انطلاق جيدة في ما يخص الصلات العميقة بين التداولية والتحليل النقدي للخطاب، على الرغم من أنها لا تأخذ بعين الاعتبار الخطابات بوصفها أحداثاً كلامية معقدة ومُخضَعةً للسياق وإنما تنحو إلى تفسير ظواهر جزئية على صعيد التأويل المقطعي للملفوظات (لمزيد من التفصيل انظر لوي دوسوسير 2003، 2004، وكارستون 2002).

87– بالنظر إلى الافتراضات التي عرضتها في القسم الأول من هذا المقال، أتمنى أن أكون قد وضحتُ واقع أن االأساليب التداولية، من قبيل التلميحات واللعب بالكلمات والاقتضاءات (وهي كلها خصائص تميز "خطابات الصمت والتبرير المشفرة")، لا يمكن أن تحلَّل بوضوح وانتظام إلا في إطار حوار دائم بين المقاربات التداولية وتحليل الخطاب، وكذا عندما نأخذ بعين الاعتبار السياقات غير اللغوية وخلفيات أخرى غير لغوية.

الإحالات (تابع)

(14)– هذا الافتراض يتماشى مع الملاحظات التي توصل إليها سبربر وولسن في التداولية العرفانية (سبربر وولسن، 1986 : 35 وما بعدها). في رأيهما أن الدلالات الضمنية (بالمعنى الواسع الذي يشمل ما أسميه هنا *إيحاءات* والذي سأعرفه بدقة بالنظر إلى الاستلزامات في ما يلي من هذا القسم) تنشأ من تأويل الجمهور، وتقع ضمن مسؤوليته الخاصة. للمتكلم دائما إمكانية التراجع (هو/هي لا يشاركان في الدلالة).

(15)– لا أقوم هنا بالتقريب بين افتراضاتي ومفهوم *الاستنباطات المستدعاة*، (غايس وزويكي، 1971). ولكن لا يمكن أن نتجنب ملاحظة وجود رابط مثير للاهتمام. وقد بيّن غايس وزويكي أن بعض الأنواع من الدلالات الضمنية تكون أكثر

قابلية للتفسير من خلال التفكير اللامنطقي –أو المغالط – ولكنه عملي. الإغراء بإقامة روابط معينة يفوق ذلك طبعاً، ولكن الفكرة تتلاءم جيدًا مع المفهوم القائل إن التمشيات المنطقية غير المعيارية يمكن أن تكون حاضرة في مثل هذه الحالات.

(16)– الإشارة إلى مفهوم *فضاء الخطاب* يمكّن من إدماج – في واجهة تداولية مهمة جدا لـ ت.ن.خ – أعمال فوكونيي وتورنار الخاصة بالفضاءات الذهنية *والمزج* (1969)، وكذا إطار العمل حول الاستعارة كما اقترحه لايكوف وجونسون (1980، 1998)، وموسلوف (2006)، وكولر (2005)، وفاغنار ووداك (2006) وشيلتون (2005). ومع ذلك فالتحليل الذي أتبناه يختلف عن تحليل شيلتون للملفوظات اللاسامية حيث لا يأخذ فيه بعين الاعتبار كل الأبعاد التي يفترضها التحليل السياقي والعاطفي والتاريخي، وحيث يزعم أن ت.ن.خ أصبح متجاوزاً؛ أنا مقتنعة أن تحليلاً عرفانياً معزولاً لا يمكن أن يعالج ويفسر توارد ملفوظات معينة أو غيرها وتأثيرها في جمهور معين في لحظة معينة (انظر أعلاه، و ووداك (2006د). انظر أيضا ساور (2006).

(17) – انظر التحليل المفصل أسفله. خلال الكرنفال، الدعابات وتشويه الأسماء – بحسب تأكيد هايدر– يجب أن تحظى بالقبول. ومع ذلك فمن المهم ملاحظة أن أربعاء الرماد كان طبعًا بعد نهاية الكرنفال : المواضعات والقواعد كان من المفروض أن لا تطبق.

(18)– يذكر بيرينغ (2002: 178) كمثال الحالة المشهورة لـ"برنهارد فايس" الرئيس السابق لشرطة برلين في الثلاثينات. كان "غوبلس" يتفكّه من اسمه بأن دعاه "إيزيدور". ورغم أن "فايس" قاضاه فأنصفه القضاء إلا أن اسم "إيزيدور" ظل ملتصقا به. تضمُّ أمثلة أخرى إعادة التسمية الشهيرة "لليهود" مجدداً بـ"إسرائيل" و"سارة"، وذاك ما سماه النازيون "جوازات السفر اليهودية".

(19) – روبزال Rübezalh (عادّ اللفت): اسم جني عملاق مدمر يعد اللفت في الفلكلور الألماني.

(20) – هذا لعب على الكلمات: "كروسالباور" (Gruselbauer) و "جوسنباور" (Gusenbauer) ويعني "المشاكس".

(21) – طرد الألمان السوديت من تشيكوسلوفاكيا وذلك لأن حكومة "بينيتش" أرادت الثأر من تعاون عدد من الألمان من السوديت مع النازيين قبل وفي أثناء الاحتلال خلال الحرب العالمية الثانية.

*– السوديت هي مرتفعات تقع بين بولونيا والتشاك، أُلحق سكانها بألمانيا من سنة 1938 إلى 1945، ولما أعيدت لتشيكوسلوفاكيا سنة 1945 وقع تهجير سكانها إلى ألمانيا وسموا "الألمان السوديت".

(22) – مفهوم "آليات تصنيف الانتماء" من اقتراح "هـ. ساكس" في عمله الدائر حول تحليل المحادثة. وقد تم تطوير هذه المنهجية في تحليل النص، وذلك للكشف عن آليات التصنيف داخل النصوص. تسمح هذه االآليات ببناء الانتماء إلى مجموعات و تُلحِق به من ثم الهويات والانتماءات. قد يتعلق الأمر بضمائر وأسماء، ومشيرات (انظر أيضا Titscher وآخرون، 2000).

(23) – لمزيد من التفاصيل حول هذه الجوانب التي تهم "غرس المعتقدات" (belief-inculcation) وصنع العضوية ("صناعة الموافقة") بواسطة استراتيجيات خطابية وتداولية، انظر ألّوت (2005) و لويس سوسير (2005). انظر أيضا فان إيميرين

و غروتاندوست (1994) ورايسيكل ووداك (2001) للاطلاع على مناقشات معمقة، وعلى بواعث الحجاج ومنطق المغالطات.

صدر حديثا